مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية
المجلد الثالث - العدد الثاني من ١١ الى ١٧

شعبان ١٤٠٠ هـ
تموز ١٩٨٠ م

كتاب الاضداد للصغاني

الدكتور سمير كاجو
كلية الاداب

تفاوتت مواقف علماء العربية من ظاهرة الأضداد بين القبول والرفض وانصبت جهود بعضهم في تصنيف كتب تجمع الفاظها وكتاب الأضداد للحسن الصغاني واحد منها .

قال الصغاني في مقدمة كتابه : " هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في الكتب المصنفة في الأضداد من عهد قطرب محمد بن المستنير الى زمان أئمة الهدى وعلم التقى ابي جعفر المنصور بالله امير المؤمنين اعز الله انصاره وضاعف جلاله واقتداره ، مرتبا على حروف المعجم بعد الاطلاع على تلك الكتب المصنفة والفوائد المؤلفة في الرد على من قال بالأضداد ، وما ينبو الطبع عنه لبعده عن حد" الأضداد ، اقتفيت فيه آثار من جمع ، لئلا يخلو الكتاب مما ذكروه مع القدرة على اطراحه واحاطة العلم به ، فان القادر على اثبات شيء اقدر منه على الغائه ، فيمهد الناظر فيه العذر ان شاء مثل قولهم : البائتة وما عنده باتتة ليلة ، اي مبيت ليلة ، ولولا تحري الاختصار لذكرت شواهدها من الاشعار ...."

يتضح من هذا النص ان قطربا (ت ٢٠٦ هـ) اول من صنف في الأضداد وان الصغاني وضع كتابه هذا في خلافة المستنصر بالله الذي تولى الخلافة ببغداد بين عامي (٦٢٣ - ٦٤٠ هـ) وهذا يعني انه وضعه في الثلث الاخير من حياته . كما يتضح ايضا ان الصغاني وضع كتابه مرتبا على حروف المعجم متأثرا بعقليته المعجمية في الترتيب والتبويب التي درج عليها في جميع مؤلفاته ، وقد سبقه الى ترتيب الأضداد على هذا النحو ابو الطيب اللغوي (ت ٣٨١ هـ) وابن الدهان (ت ٥٦٩ هـ) في كتابيهما الأضداد ، ولكن الصغاني امتاز عليهما بأنه لم يكتف - كما فعلا بترتيب كتابيهما بحسب الحرف الاول فحسب ، وانما اعتبر جميع حروف الألفاظ في الترتيب معتدّا بالأصول منها مطرحا الزوائد ، مبتدئا بالأول فالثاني فالثالث وهكذا .. فهو بذلك يحقق السبق ، ويجعل كتابه اول كتاب رتب ترتيبا معجميا كاملا . ومع ذلك لاحظنا انه وهم في ترتيب بعض الالفاظ فقدم (تصدق) على (اصحامّت) في حرف الصاد (١) والقانص والقانع والقنوع على قموّ في حرف القاف (٢) .

كما لاحظنا في ترتيبه المعجمي هذا ، تقديمه حرف الواو على الهاء في الترتيب العام ، ويبدو انه تأثر بمنهجي ابي الطيب وابن الدهان فتبعهما في ذلك . ومع هذا نهج في ترتيب الألفاظ داخل كل حرف خلاف ذلك ، اذ قدم الهاء على الواو فقدم (أقهم) على (المقورة) و(المقوى) (٣) وقد افرد اللام الف فذكرلها ضدا واحدا وهو (لا) (٤) .

ويستخلص من مقدمة الكتاب ايضا انه قصد الجمع والاستقصاء لألفاظ الأضداد من عهد قطرب الى زمانه فهل وفق في ذلك ؟ .

جمع الصغاني في كتابه ثلاثمائة وثمانية وثلاثين لفظامما اصطلح على تسميتها بألفاظ الأضداد ومع ذلك فاتته الفاظ كثيرة مما ذكرها اصحاب كتب الأضداد قبله .

فهو يصرح باطلاعه على كتاب قطرب ،ومع ذلك اغفل سبعة وسبعين لحظا مما ذكرها قطرب في كتابه ،نذكر منها على سبيل المثال: الزجور،الساق ،الجرموز،العنوة ،صفراء ،الغرض .... الخ . ولكنه اتى في مقابلها بحوالي مائة وتسعين ضدا .

واغفل من اضداد الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) عشرة ألفاظ من ذلك: الراوية البلاء . واتى في مقابل ذلك بقرابة مائتين وثلاثة واربعين ضدا مما لم يذكره الاصمعي .

واغفل من اضداد ابي حاتم السجستاني (ت ٢٤٨ هـ) حوالي خمسين لفظا من الأضداد التي نص ابو حاتم على معرفته بها مثل: وراء ،الرغوث،شمول.. الخ ... واحد عشر لفظا من الأضداد التي شك فيها ابو حاتم مثل : اشاب ،القلت .... الخ . واتى في مقابل ذلك بحوالي مائتين وعشرة ألفاظ .

واغفل من اضداد ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) خمسة مثل: قرحان الراوية .... الخ . واتى في مقابلها بمائتين وخمسين ضدا .

واغفل من اضداد ابي الطيب (ت ٣٨١ هـ) مائة وثلاثين ضدا مثل: الأكيل،البشرة القعدد الخ .... واتى في مقابلها بمائة واربعة وخمسين ضدا . ١

واغفل من اضداد ابن الدهان (ت ٥٦٩ هـ) ثلاثة وسبعين لفظا مثل : الامم ،اشر ،الجوبة ... واتى في مقابلها بحوالي مائة وثلاثة وعشرين ضدا .

وعلى الرغم من انه قد صرح باطلاعه على اضداد ابن الانباري(ت ٣٢٨هـ) وذكر في كتابه بعض الفاظ الأضداد مما ليست عنده كذلك جريا مع من سبقه ،فقد اغفل من اضداد ابن الانباري حوالي مائة وعشرين ضدا مثل: تأثم ،ايوب ،دهور،الصرعان .... الخ ... واتى في مقابلها بثمانية وتسعين ضدا تقريبا . قال الصغاني في خاتمة كتابه (٥) :آخر كتاب الأضداد ولله الحمد والمنة ،وفيه كلمات ليست هي عندي من الأضداد ،ولكني قفوت فيها آثار من سبقني الى جمعها مثل ابن الانباري وغيره حذار ان يقال اهمل شيئا مما اثبتوه ".

والحق أن هذا الحذف لايقوم على اساس من الشك والنقد، وبالتالي تصعب معرفة موقف الصغاني من ذلك، وقد اجتهد بعض الباحثين(٦) في تفسير ذلك فذهب الى القول بأن كثيرا مما حذفه خاطئ او مشكوك فيه او انفرد به قائلوه، واكثر ما اخذه من أضداد ابن الانباري ينطوي تحت صيغة فعول او فعيل او افتعل وضرب امثلة على ذلك .

والحقيقة، انه على الرغم من صحة الامثلة التي ضربها الباحث فانها لاتعكس اتجاها نقديا عند الصغاني في موقفه من الاضداد، كما انه لايمكن تعميم هذا الحكم، وخاصة ان الصغاني صرح في مقدمة كتابه وخاتمته بأنه قد اورد كلمات ليست عنده من الاضداد، وضرب مثالا بكلمة (البائتة)ولكنه وضعها في حرف الباء من كتابه (٧)، وكذلك فان كلمة (الارة)(٨) التي شك فيها أبو الطيب وذكرها في ذيل كتابه (٩)، ذكرها الصغاني، واما بالنسبة الى اضداد ابن الانباري، فيمكن القول بأن معظم ماحذفه جاء آيات قرآنية وأبيات شعرية اعتبر ابن الانباري بعض كلماتها من الاضداد، فتعسف وغالى في تفسير ذلك. واما بقية الالفاظ فلا تخضع لمقياس نقدي او تدخل تحت صيغ معينة كما ذهب الى ذلك هذا الباحث .

ومهما يكن من أمر، فقد تفرد الصغاني بذكر سبعة وستين ضدا(١٠) ليست موجودة في الكتب المؤلفة في الاضداد قبله مما وقفنا عليها بالاضافة الى ذكره اكثر من معنيين متضادين للكلمة الواحدة مثل : صرى (١١) : اذا جمع واذا قطع، وهو يتفق مع من سبقه في هاتين الدلالتين ولكنه يفترق عنهم بايراده دلالتين أخريين للكلمة نفسها وهما : اذا تقدم واذا تأخر .

والاضداد عند الصغاني ـ كما هي عند غيره ـ كلمات مفردة : أسماء وأفعال وحروف، وتراكيب تدل دلالتين متضادتين، والحق أن مالفت نظرنا في هذه الالفاظ هو أسماء الالوان فالاحمر: يعني الاحمر والابيض، والاسود: يعني الاسود والابيض، والاخضر: يعني الاخضر والاسود، ويبدو ان دلالات هذه الكلمات قد تطورت عما كانت تعنيه عند العرب القدماء .

والكتاب يخلو من الشواهد والامثلة، كما يخلو من الشرح لمشتقات الكلمات، وقد علل ذلك الصغاني في مقدمته طلبًا للاختصار فهو بذلك يمكن أن يسمى متن الاضداد، وكذلك فان الكتاب يخلو من اسماء اللغويين الافي ثلاثة مواضع ذكر فيها ابن الاعرابي مرتين والاصمعي مرة واحدة، وقد فسّر ذلك بعض الباحثين (١٢) باحد امرين :

١ – أن يكون سبق قلم من الصغاني نفسه ، اذ نسي في هذه الالفاظ الثلاث أنه لايذكر علما وسها عن هذا الالتزام .

٢ – ان يكون من فعل الناسخ بان اضاف من عنده هذه الأسماء. ونحن نميل الى القول بان هذه الاسماء من صنع الصغاني نفسه ،ولا حرج عليه في ذكرها ولاتعد خروجا عن الاختصار الذي أعلن التزامه به في مقدمة كتابه ،ونرىء به ان يكون قد سها عن ذلك،وهو الذي عرف بدقته وتحقيقه للالفاظ ووفرة محصوله اللغوي الحفظي من المفردات العربية .

والصغاني يقف من الاضداد باعتبارها ظاهرة لغوية موقف المؤيد، غير انه يقف موقفا وسطا في قبول امثلتها ،فيقبل بعضها ويرفض بعضها الآخر ،ولكن يصعب تحديد موقفه من هذه الامثلة الافي كلمة (البائتة) التي نصّ على رفضها في مقدمة الكتاب ،ولكنه ،يقبل جميع الامثلة من الناحية العملية فيوردها في كتابه . ويبدوأن من سبقه كان أكثر دقة منه في هذه المسألة ،فأبو الطيب اللغوي ، أفرد للاضداد التي أدخلها السابقون له وليست منها في الحقيقة قسما خاصا من كتابه سماه (الذيل) وأبو حاتم السجستاني قال في جزء من كتابه (١٣) ((وقد ذكر اصحابنا حروفا لاعلم لي بها أتقال أم لا ؟)) ثم أوردها. وابن الدهان وقف أمام الكلمات التي شك فيها وقال(١٤) :" وفيه نظر" ولكن الصغاني خلط الالفاظ التي قبلهابالتي رفضها" حذار أن يقال أهمل شيئا مما أثبتوه " (١٥) .

وقد حاول بعض الباحثين (١٦) أن يتلمس للكتاب مذهبا مدرسيا ،فزعم أنه أقرب الى طبيعة المدرسة البصرية معتمدا على بعض خصائص المدرسة ، ولكنه سرعان ما أدرك تكلف هذا الرأي وخطله فقال:" ومع ذلك فلا يمكن أن نتكلف هذه الحقيقة تكلفا" .

وقد استدرك نور الدين الجزائري (ت ١١٥٨ هـ) على كتاب الصغاني كثيرا من الفاظ الأضداد التي ذكرها في كتابه (فروق اللغات) فعقد فيه فصلا بدأه بقوله (١٧) : فصل في الأضداد ،ذكرها الحسن الصغاني ولكنه أهمل منها كثيرا ،ونحن نذكر ماذكر وأهمل على ترتيب التهجي".

نشر الكتاب المستشرق الدكتور أوغست هفنر وجعله ذيلا لكتب الاصمعي وأبي حاتم وابن السكيت في الأضداد وطبع في بيروت تحت عنوان : ثلاثة كتب في الأضداد) سنة ١٩١٣ ،ثم أعادت نشره تصويرا بالأوفست دارالمشرق ببيروت . ولنا ملاحظتان على تحقيق هذا الكتاب نوجزهما فيما يلي :

١ ـ هناك ألفاظ نصّ الصغاني صراحة على أنها من الأضداد في معاجمه اللغوية مثل مجمع البحرين ،وقد وقفنا على بعضها مما لم يرد ذكره في الكتاب المنشور مثل : الصح (١٨) ،القرحان ،(١٩) النيح (٢٠) .واذا أضفنا الى ذلك تلك المفارقة الغريبة التي تلمسناها من خلال تصريحه في مقدمة الكتاب بأنه " اقتفى فيه آثار من جمع ،لئلا يخلو الكتاب مما ذكروه (٢١)" وما أغفل من اعداد كبيرة من ألفاظ الأضداد كما تبين لنا من خلال المقارنة الاحصائية ،أمكننا القول بأننا نغلب الظن بأن النسخة التي اعتمدها المحقق هي ـ في حقيقتها ـ مختصر للكتاب الاصلي أو أن يكون قد وقع فيها سقط كبير .

٢ ـ تصحفت على المحقق بعض الالفاظ وأخطأ في قراءة بعضها الآخر مثل : الزوج فقد نقلها الزوج ـ بالجيم ـ ولولم يذكرها مع كلمة الزوج ويعدهما واحدا ، لسلمنا بأن ذلك من فعل المطبعة ،وقد نصّ الصغاني صراحة على كلمة الزوح ـ بالحاء ـ في معجمه مجمع البحرين ،وكذلك أخطأ في قراءة الجذع في قول الصغاني : العريض : الجذع الصغير والذي كبر الى أن ينثني ،حتى قرأها وقيدها الجدي " .

الاحـــالات

١ ـ الصغاني ،كتاب الأضداد ص ٢٣٥ .
٢ ـ السابق ،ص ٢٤٨ .
٣ ـ السابق ،الصفحة نفسها .
٤ ـ السابق ،الصفحة نفسها .
٥ ـ السابق ،الصفحة نفسها .
٦ ـ د. حسين محمد (الأضداد) مجلة اللسان العربي ،الرباط ،المجلد العاشر ،الجزء الاول ص ٢٣ .
٧ ـ الصغاني ، الأضداد ٢٢٢.
٨ ـ الحفرة التي تحفر للنار، والنار نفسها .
٩ ـ أبو الطيب اللغوي ، الأضداد في كلام العرب ،تحقيق د. عزة حسن، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٣ م ٢ / ٧١٣ .
١٠ ـ هذا العدد لايتضمن الأضداد التي تفرد بها عن بقية أصحاب كتب الأضداد مما اوردها السيوطي في كتابه المزهر ١/٣٨٧/ـ ٣٩٧ وهي: أفد ،المخاوذة ، الأشراط ، العجبا ،التغريب النبّه ،نصل،الهلوب .
١١ ـ الصغاني ،كتاب الأضداد ص ٢٣٥ .

١٢ ـ محمد آل ياسين ، الأضداد في اللغة ، بغداد ١٩٧٤ م ص ٤٩٠ .
١٣ ـ أبو حاتم السجستاني ، الأضداد (ضمن ثلاثة كتب في الأضدادة) ص ١٤٨ .
١٤ ـ ابن الدهان الاضداد ، تحقيق محمد حسن آل ياسين، نفائس المخطوطات المجموعة الاولى النجف ١٩٥٢ م ص ١.
١٥ ـ الصغاني ، كتاب الاضداد ص ٢٤٨ .
١٦ ـ محمد حسن آل ياسين ، الاضداد في اللغة ص ٤٩١ .
١٧ ـ نور الدين الجزائري ، فروق اللغات ، تحقيق أسد الله اسما عيليان النجف ١٣٨٠ هـ ص ١٩٠ ـ ١٩١ .
١٨ ـ الصغاني ، مجمع البحرين (مخطوط) مادة (صحح).
١٩ ـ السابق = (قرح).
٢٠ ـ السابق = (قرح).
٢١ ـ الصغاني ، كتاب الاضداد ص ٢٢١ .